أثر القيم الثقافية الخارجية على قيم الأسرة

بوغازي الطاهر

القيم: يعرفها، ج. دولا نشير على أنها: تعبير عن معايير لأحكام أخلاقية إلزامية، أو تفضيلية، توضح النماذج السلوكية واتجاهات الأفراد نحو أمور الحياة المختلفة

تمهيد

عاشت الأسر الجزائرية تغيرا ملحوظا في أواخر القرن العشرين في اتجاهاتها الثقافية المتمثلة في القيم الخارجية للدول المتطورة. إن الانبهار الذي أصابها من بعض العناصر الثقافية استحوذ على تفكيرها. وقد لفت الانتباه أن أبرز تلك العناصر شمولا تمثل في الوسائل التكنولوجية: الأنترنيت والتلفزيون على الخصوص، ولا يخفى على أحد أثر هذين العنصرين على اتجاهات الأفراد.

فقد بينت كثير من الدراسات النفسية والاجتماعية على الخصوص، أثر القيم المبثوثة في التلفزيون والإنترنيت على قيم المتلقين للبرامج التلفزيونية، واستعمالات شيكات الاتصال الالكترونية.

إن منبع هذه الأجهزة انطلق من ثقافة خاصة بمجتمع غريب في قيمه عن قيمنا العربية الإسلامية، ومع ذلك لا نستطيع أن نتبين بأن الأهداف القيمية المسطرة في الاستراتيجيات التربوية لهذه المجتمعات قد نجحت. هناك دراسات عن أثر هذه الأجهزة على المواقف والاتجاهات بعامة، والشباب بخاصة، أظهرت بإحصائيات دقيقة

أن الآثار السلبية باتت واضحة في السلوك الاجتماعي، والمردود المدرسي لأطفال تلك المجتمعات.

ومن ثم فإن قيم الثقافة الخارجية المتمثلة في الأدوات التكنولوجية المختلفة، وخاصة الأنترنيت والتلفزيون وما تحمله من قيم غريبة عن مجتمعنا، تطرح إشكالا للأسر.

نحاول من خلال هذا البحث معالجة المشكلة بالإجابة على السؤالين التاليين:

1 – ما هي آثار عدم تجانس الثقافة الخارجية مع ثقافة الاسرة الجزائرية.

2 – ما هي الاستراتيجيات الأسرية في مواجهة القيم الثقافية الخارجية؟ .

1 - أثر القيم التربوية:

يجب أن نشير أولا إلى تعريف مفهوم القيم، كأداة للبحث، وأثرها على التربية ثانيا، توجد تعاريف كثيرة للمفهوم، مع بعض الفروق بينه، وبين الاتجاه الذي يطغى على البحث في الميدان الاجتماعي.

1 – **القيم:** يعرفها، ج. دولا نشير على أنها: تعبير عن معايير لأحكام أخلاقية إلزامية، أو تفضيلية، توضح النماذج السلوكية واتجاهات الأفراد نحو أمور الحياة المختلفة[1]، يعرض التعريف جانبين للقيمة:

1 – **جانب شخصي**، أي كل ما يفضله الفرد، ويميل إليه في حياته، ويرتبط به عاطفيا وفكريا.

2 – **جانب اجتماعي**، وتمثله ثقافة المجتمع (تعني الثقافة: مجموع السلوك والعادات والمعتقدات والأفكار والقيم)[2] المبثوثة في قنوات مؤسسات المجتمع.

أما، أ. روبول فلا يرى حدودا للقيمة، فهي أكبر في عددها في واقع الإنسان، ولكن إذا ربطناها بالتربية فإنه يمكن حصر عددها.

أولا: هناك قيم تعد أهدافا للتربية، تعمل هذه الأخيرة على ترسيخها في الأطفال لمسايرة نشاط المجتمع، وهي تختلف من مجتمع لآخر، لاختلاف الأهداف التربوية، بعض الأهداف تكون تقليدية تسعى إلى إدماج الأفراد في المجتمع، والحفاظ على تماسكهم. وبعضها الآخر يرسم كأهداف تربوية استقلالية الأفراد في أفكارهم وأحكامهم، أي كل ما يجعل الفرد مسؤولا عن سلوكه.[3]

كما أشارت بعض الدراسات النفسية الاجتماعية إلى أن مجال القيم هي الوجدان – الفكر– والسلوك، وقد أشار، أ. أوزي إلى هذه الفكرة في قوله: «إن كل تعريف إجرائي للقيمة، أولا يتميز بثلاثة مظاهر، هي: المظهر الوجداني، المعرفي والسلوكي».[4]

نستخلص من هذه التعريفات للقيم بالقول: القيم هي أفكار تجريدية تعبيرية عن مواقف سلوكية واعية للأفكار، والمعتقدات. وتكون نتيجة للخبرات يتعرض لها الطفل في وسطه الأسري، والاجتماعي، فتصبح مكون

من مكوناته الإدراكية، فتظهر في مختلف تعبيراته السلوكية.

نعود الآن، إلى تعريف الاتجاه باعتباره مفهوم قريب من القيمة.

ب - الاتجاهات: توجد بين القيم والاتجاهات علاقة تكاملية، مما أدى ببعض الباحثين إلى الجمع بين المفهومين في معنى واحد.

تهتم القيم والاتجاهات بنفس الموضوع، وتضفي عليه الصبغة الانفعالية ذاتها (إيجابيا أو سلبيا)، ولذلك فهما يكونان وجهين لعملة واحدة، تعتبر عملية الجمع بين المفهومين أكثر وضوحا لدى الباحثين.

يعبر الاتجاه عن القيمة في جانب، أو عنصر من مكوناتها، ومن ثم الانتقال من مجموع العناصر إلى القيمة ككل، ولتوضيح العلاقة بين الاتجاهات والقيم نسوق المثال التالي المبين لتكوين قيمة المحافظة على البيئة لدى الأطفال.

الاتجاهات نحو المحافظة على البيئة.

1 - المحافظة على البيئة من التلوث.

2 - حمايتها من الاستنزاف.

3 - حمايتها من الانحسار

4 - حمايتها من الاختلال.

5 - حمايتها من التشويه.

فإذا اكتسب الفرد هذه الاتجاهات نحو المحافظة على البيئة فإننا نقول بأنه استدخل قيمة حمايتها مما يواجهها من مشكلات.

تتميز القيم بخصائص حددها الباحثون بثلاث خصائص هي:[5]

خاصية الثبات النسبي، التراتبية والعموم.

1 / **الثبات النسبي**: وهي نتيجة لتكوّنها ببطء عن طريق التعرف على القيمة.

2 / **التراتبية**: تتراتب القيم في سلم تدرجي من أعلى قيمة مسيطرة على الاتجاهات إلى أدنى قيمة.

3 - / **العموم:** تتميز ببعديها المثالي والواقعي : حب الدين والعدالة، كقيم مثالية، والتعاون وحب الخير كقيم واقعية.

صنف الباحثون القيم إلى فئات من أجل تسهيل دراستها، وتحديد إشكالياتها. وقد ظهرت، في هذا الاتجاه، تصانيف كل من: وايت، البورت، وروكاتش، نستعرض فيما يلي، فئات هذه التصانيف. [6]

1 - **تصنيف وايت**، يحتوي على ثماني فئات، طبق على المتمدرسين، وفي تحليل الكتب.

أ - القيم الاقتصادية

ب - القيم الأخلاقية

ت - القيم الترويحية

ث - القيم الجسمانية

ج - القيم الوطنية

ح - القيم المعرفية

خ - القيم الشخصية

د - القيم الاقتصادية

2 - **تصنيف البورت:** يرتبط هذا التصنيف بسلم المنفعة لهولند، والمهنية لسترونج، يحتوي التصنيف على ست بنود وهي:

أ - القيمة النظرية

ب - القيمة الاقتصادية

ت - القيمة السياسية

ث - القيمة الاجتماعية

ج - القيمة الجمالية

ح - القيمة الدينية

3 - **تصنيف روكاتش:** يضم ثمانية عشر قيمة وسيلية، وأخرى نهائية أو غائية، تعتبر بنودها عن السلوك الإجرائي مع مواضيع الحياة المختلفة، تظهر أهمية القيم في تنظيم حياة الفرد والجماعة، ويمكن تلخيص تلك الأهمية في ما يلي: [7]

1 - تحدد القيم الغايات والأهداف التربوية للمجتمع.

2 - تؤدي القيم وظيفة التخفيف من الصراع الذي قد ينشأ بين القيم ذاتها.

3 - تعتبر القيم معيارا للسلوك، والتوقعات له.

4 - ترتبط القيم بثقافة المجتمع، فتحدد صورته.

لقد أكدت نتائج البحوث الميدانية أن القيم من المفاهيم المهمة في دراسة الصراع الثقافي، والحراك الاجتماعي[8]، ومن ثم فإن إجابتنا على التساؤل الأول المطروح في المقدمة، والمتعلق بآثار عدم تجانس القيم الثقافية بين مجتمعين، ستكون على ضوء محتوى القيم، والصراع الثقافي، وسأوضح ذلك من خلال وسيلتين ثقافيتين وهما:

1 - **آثار التلفزيون على قيم الأسرة:** تتبع ثقافة المجتمع الجزائري بما تحمله هذه الثقافة من دين وعادات وأنظمة اجتماعية وعلاقات إنسانية من قيم المحافظة على الشخصية الوطنية، وخصائصها النوعية كما أوضحها أحمد بن نعمان: "الصرامة- حب الوضوح- الواقعية- مقت الادعاء والتظاهر- التكيف مع الأحوال المستجدة- سرعة المبادرة وكره الانتظار- روح التحدي- حب المعاملة بالمثل- مقت الثرثرة- والكلام الزائد- كره التطفل والفضول- الاعتماد على النفس- الصبر- عزة النفس - التدين- التعاون- قبول نتائج الأعمال- حب التكتم والعمل في صمت"[9].

بعض هذه القيم لا زال سائدا أو قائما، وبعضها أصابها الاهتزاز والتصدع: كالصرامة- الصبر- المبادرة- العلاقات الإنسانية- روح التحدي.

كانت هذه القيم متجدرة في الأجيال السابقة، وأصابها الاهتزاز اليوم بفعل تأثيرات القيم الثقافية الآتية عن طريق قنوات الاتصال الخارجية.

يظهر من خلال الدراسات العربية والغربية أن التلفزيون ساهم بقدر كبير في تغيير كثير من الاتجاهات خاصة المعاملات

الإنسانية، اللباس، اللغة.....) لدى الشباب، وأذكر بهذا الصدد أن فرنسا عانت من مشكلة التثاقف بفعل الغزو التلفزيوني الأمريكي لأوساطها الأسرية، والاجتماعية (الإشهارات والموسيقى، واللباس)، بالإضافة إلى أن دور التلفزيون لم يعد همه توعية الناس بدورهم التربوي والاجتماعي، بقدر ما أصبح هدفه ربح معركة الدعاية التجارية، والمنافسة السياسية[11]. وبذلك ابتعد عن دوره الأساسي، وأدى هذا الاختراق الثقافي للشعوب إلى انحراف سلوكات الشباب الشخصية، والاجتماعية (الانحلال الأخلاقي، تعاطي المخدرات، العنف، والممارسات الجنسية). وفي هذا الاتجاه أظهرت الدراسات والإحصائيات الأكاديمية أن المجتمعات العربية تتابع البرامج التلفزيونية الأجنبية بنسبة %. وخاصة المسلسلات والأفلام[12].

أظهرت بالمقابل دراسات جزائرية أن الأطفال يجلسون أمام الشاشة الصغيرة مدة زمنية تتراوح ما بين ، ساعات يوميا[13]، يقلبون قنواتها دون متابعة أو مراقبة الوالدين، مما يجعلهم عرضة لكل مضمون قد يخالف اتجاهاتهم الأولى، فيهدم ما بنته الأسرة، أو المدرسة.

وفي دراسة للعلاقة بين اللغة الملتقطة من التلفزيون والمدرسة، بينت الباحثة فتيحة بوكثير الأثر السلبي للغة التلفزيون على الأطفال المتمدرسين في السنوات الثلاث الأولى[14]. بحيث لم يعد لديهم ميل للقراءة، بالإضافة إلى ضعف في بناء اللغة، وفي تراكيبها.

هذه الآثار السلبية للتلفزيون هي نتيجة لعدم تحسيس الأولياء بأهمية دورهم في توجيه ومتابعة أطفالهم للأعمال المدرسية من قبل المعلمين، والمسؤولين على البرامج التلفزيونية من جهة، ولعدم وجود برامج تربوية على مستوى هذا الجهاز تحدد القيم التي ترمي إليها من خلال المضامين، من جهة أخرى.

أثر الانترنيت:

الأنترنيت شبكة هائلة تصل إلى المستخدمين عبر ملايين الكلومترات، إنه أداة اتصال مميزة، استطاعت أن تفيد أسلوب التفكير والعلاقات الإنسانية، وإنجازاتنا. يعتبرا بحق، أحد الأدوات المعززة للإعلام، والتعليم، والإشهار، والدعاية حيث يستفيد كل واحد من أفراد المجتمع من خدماته التوجيهية والإرشادية والتعليمية، والترفيهية. بفضله يستطيع الباحثين، والأصدقاء والعائلات، الاتصال المباشر والتوسيع، كما يمكن استعمال الواب كام، وهي كاميرا يمكنها نقل المشاهد الحسية عبره.

يعزز، من جهة أخرى، حسن الانتماء إلى الجماعة لدى الأفراد المنعزلين، أو المرضى، أو المعوزين. وبذلك يستطيع أن يوفر التسهيلات التالية:

* يضمن الحصول الفوري على المعلومة.

* يقلل من إنجاز الأعمال الكثيرة.

* يشكل وسيلة تفاعل جيدة.

* مصدر المعلومات العلمية.

* وسيلة للترفيه.

* وسيلة لربط العلاقات بين الأفراد والمؤسسات.

إذا كان للأنترنيت هذه الصفات الجيدة، فإن ذلك يشرط بطريقة التعامل معه، والاحتياط من الانزلاق في سلبياته الكثيرة. فهو جيد كلما أحسن الفرد استخدامه، وأدرك جيدا ما يعرض عليه من أشكال وألوان ومعلومات، وأفكار. وهو سيء إذا أسيء استعماله وهنا نقف على بعض المخاطر التي يسببها الإنترنيت إذا أسيء استعماله.

أثر الأنترنيت على الأطفال والمراهقين:

عادة لا يتفطن الأطفال والمراهقين للآثار السلبية عند استخدام الإنترنيت، إن إدمانهم عليه ووقوفهم على أشياء ومواضيع تثيرهم عاطفيا يفتح شهيتهم للانسياق وراء تلك الأشياء أو المواضيع، أو المشاهد للاستزادة من المتعة العاطفية.

ويمكن في هذا الاتجاه حصر التأثيرات النفسية في نوعين:

1 - **النوع الأول**: يتضمن الآثار النفسية الاجتماعية، بحيث يؤدي هذا التأثير إلى العزلة عن المجتمع، يؤدي إلى ضعف الثقة بالنفس.

2 - **النوع الثاني**: يضم ضغط الأفراد المنتمين إلى ثقافات مختلفة على المراهق خاصة.

يمكن أن نستخلص من هذين النوعين من التأثيرات النتائج السلبية التالية:

* لا توجد قواعد توجيهية وإرشادية تلزم ضبط سلوك المستخدم.

* قد يساء فهم الكلمات المكتوبة، والمرسلة عبره.

* يتضمن مواد إباحية بذيئة.

* يقلل من مستوى المردود المدرسي.

* يشتت الانتباه.

* يهدر الوقت .

* يلهب المشاعر الإيجابية والسلبية لأنها تتم في فترات زمنية سريعة.

* يسبب التراجع في بعض المهارات الاجتماعية.

* يبعد الطفل والمراهق عن اهتماماتهما، الواقعية.

أشير بهذا الصدد إلى دراسة حديثة أجريت على مراهقين بمدينة الجزائر، لاستقصاء الرأي حول استعمالات الأنترنيت، والمواقع التي تجذبهم أكثر، قدرت العينة بـ شابا، فكانت النتائج كالتالي % من المراهقين يتوفرون على

الأنترنيت ببيوتهم، % منهم تستهويهم المشاهد العاطفية، والألعاب، والمناظر الجنسية[15].

نستخلص من كل ما سبق أن التأثيرات القيمية تظهر في شكل انحرافات عن السلوك العام للمجتمع، فالطفل والمراهق في علاقاتهما بالمضامين الإعلامية والتعليمية الخارجية يتأثرون بها، حيث تعتبر القدوة، والمثال المهتدى، في غياب تلفزيون وطني يهتم بالشباب وهم في مراحلهم الأولى من تكوين الاتجاهات والقيم الإيجابية عن ثقافتهم الأم.

استراتيجية الأسرة لمواجهة الثقافة الخارجية:

تعتبر الأسرة أهم خلية لتربية الأطفال، ونظرا لاختلاف الأسر في طبيعتها العامة فإنها تختلف في الأسلوب التربوي، ومن ثم في سلوكات أطفالها، التي تظهر غالبا في العلاقات المدرسية، والاجتماعية والأسرية. إن أول ما يستدعي انتباه الباحث لدراسة موضوع الأسرة هو الآثار التي تتركها الظروف الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية للوالدين على التربية، من هذا المنظور، فإن التباين بين الأسر قد يؤدي إلى التباين في العلاقات الأسرية، وهو ما أثبتته الكثير من الدراسات الاجتماعية.

فكلما وفرت الأسرة الرعاية النفسية الاجتماعية والاقتصادية نتوقع أن تكون العلاقة جيدة ومثمرة بين أفراد الأسرة، ومن جهة أخرى أثبتت بعض الأبحاث أن للقيم والاتجاهات أثر تربوي على سلوك الأطفال بعامة، ولذلك حاولنا أن نركز على هذين البعدين في هذا البحث، لأنهما يشكلان في نظرنا المتغيرين الأساسيين في حماية الأطفال من تأثيرات الاتجاهات الخارجية، ولكن قبل ذلك، يجب التعريف بمفهوم الإستراتيجية.

الإستراتيجية: «هي الخطوات المنتظمة والمتسلسلة المتجهة صوب هدف، والتي تظهر في سلوكات واضحة»[16]. وبالنسبة للبحث فإنها تعني التوجيهات التي يتلقاها الأطفال من قبل الوالدين بشأن اتجاه سلوكهم التربوي.

فالإستراتيجية هي عمل منظم بأدوات، وعمليات وأهداف، ويعتبر الضبط لتنفيذ العمل (الخطة) أحد العناصر المهمة في تحقيق الأهداف المسطرة.

الدور التربوي للأسرة:

يقصد بالدور التربوي مواقف الآباء اتجاه الأطفال والمراهقين في علاقاتهم ومعاملاتهم، وتوجيهاتهم نحو الأهداف التي تحقق آمالهم وطموحهم. ومن ثم يعتبر الوسط الأسري المتغير الحاسم في إحداث تباينا في سلوكات الأبناء.

يبني الآباء استراتيجياتهم التربوية على أساس العناصر القيمة التي توجه سلوكهم نحو الأهداف المنشودة: الأخلاق، النجاح المدرسي، والمكانة الاجتماعية مستقبلا، مع

أن هذه العناصر القيمية لا تختلف مفاهيمها لدى الأسر المكونة للمجتمع، ومع ذلك هناك اختلاف في الاستراتيجيات التي تحقق تلك القيم، فالاستراتيجيات تخضع لعاملين مهمين:

* يتعلق العامل الأول بالمستوى التعليمي والوعي بالمسؤولية.

* ويرتبط العامل الثاني بالمستوى الاجتماعي والاقتصادي للأسرة.

لقد أظهرت في هذا الاتجاه، بعض الدراسات أن الأسر تتوزع في تربيتها لأبنائها على شكل بنيات ثلاث تشكل طريقة معاملتها التربوية، ويكون تشكل البنيات كالتالي: بنية صارمة، بنية مرنة، وبنية ضعيفة[17].

فالصرامة تعني أن الطفل ملزم باتباع والانصياع للأوامر، وتعني المرونة التكيف مع الواجبات وظروف الطفل (يمكن أن يراجع دروسه، ويمكن أن يشاهد برامج التلفزيون أو الخروج للعب). أما البنية الضعيفة فتعني الحرية، للطفل الحرية في ضبط سلوكه في الاتجاه الذي يراه مفيدا، هنا السلوكات غير مضبوطة كما هو الشأن بالنسبة للبنية الصارمة.

أثبتت دراسة ، ج، لوترى التجريبية استنادا إلى هذه التنضيدات الأسرية الثلاث: الصرامة، المرونة، الضعف، وجود علاقة بين الممارسات التربوية، أي الاستراتيجيات الوالدية والذكاء[18]، ويظهر عامل الذكاء مرتبط بقيم الوالدين، وبالظروف الاقتصادية والمستوى التعليمي لهما. فكلما كانت مستويات هذه الأبعاد جيدة كلما كان شكل بنية الأسرة مرن، وبالتالي يرتفع مستوى الذكاء لدى الطفل، وكلما كانت متدنية انعكس سلبا على الذكاء.

رغم هذه الاستنتاجات الواضحة في الدراسات الأجنبية، إلا أنه يمكن أن نتوقع فيما يخص مجتمعنا أن الاستراتيجيات غير واضحة لدى الأسر، لغياب استراتيجيات وطنية في ذهن الأولياء حتى يستطيعوا حماية أبنائهم من الأشكال المختلفة للتأثير القيمي الخارجي.

الهوامش

1 -G. De Landshere: Introduction à la – recherche en éducation، Arnand– Colin 4e ed Paris 1976. P 182

2-عن أحمد بن نعمان: سمات الشخصية الجزائرية من منظور الأنثروبولوجية النفسية م.و.ك الجزائر 1988 ص 89.

3 - D.Reboul : les valeurs de léducation P.U.F Paris 1992 P 4.

4 -أحمد أوزي: المراهق والعلاقات المدرسية، النجاح، الدار البيضاء – المغرب 1994 ص 164.

5 -سعيد الهردة: القيم الموجهة للطفل المغربي من خلال الكتاب المدرسي، رسالة غير منشورة – كلية التربية– الرباط – المغرب 1993 ص 28.

6 – In .G. Delanrdsheere op.cit .pp 190– 194.

7 - ضياء زاهر: القيم في العملية التربوية ، مؤسسة الخليج العربي 1984، ص 16. س

8 - عن احمد حسين محمد: القيم الخاصة لدى المبدعين – المعارف- القاهرة- 1981 ص 31. 35

9 -أحمد بن نعمان: المرجع نفسه ص 357

10 - L. Legrand : l'école unique à quelles conditions scarabea 1981

11 - P.Bourdien : sur la télévision suivie de l'empire du journalisme ed raison d'agir 1996. Paris.

12 -مصطفى أحمد تركي: وسائل الإعلام وأثرها على شخصية الطفل، عالم المعرفة، الكويت العدد 4. 1984.

13 -عبد الحميد حفري: التلفزيون الجزائري – دراسة تحليلية لبرامج التلفزيون رسالة ماجستير جامعة وهران 1981.

14 -فتيحة بوكثير: خطر التلفزيون على القراءة – جريدة المساء 18-10-1990

15 -التلفزيون الجزائري: برنامج للتحدث، حصة خاصة بالأنترنيت 18-03-2013

16 -فؤاد محمد موسى: أثر استخدام استراتيجية التدريس في الكتاب التعميمات الهندسية المجلة العربية للبحوث التربوية – المنظمة العربية للتربية والثقافة 1989 ص 91

17 – In .Lantrey : Classe sociale – milieu familial – Intelligence P.U.F 1980 P 67

18 – J . Lantrey : Op- Cité pp 160- 165